

ما الرسائل التي تريدها "هتس" من عملياتها الأخيرة ضد قوات نظام الأسد؟

تقرير صادر عن وحدة تحليل السياسات في مركز الحوار السوري

12 رجب 1444 هـ - 3 فبراير/شباط 2023 م

الملخص التنفيذي:

- كان لافتاً ما تناقلته المصادر المحلية عن قيام "هيئة تحرير الشام - هتس" بعمليات عسكرية عدة وُصفت بالخاطفة والانغماسية؛ نقّذتها مؤخراً ضدّ مواقع لقوات نظام الأسد في شمال غربي سوريا، في محاولةٍ لإيصال رسائل داخلية وخارجية للأطراف الفاعلة، وسط مساعي تركيا لتطبيع علاقاتها مع نظام الأسد.
- حاولت "هتس" استثمار غضب الحاضنة الشعبية من الموقف المتأخّر لبعض قوى المعارضة السياسية والعسكرية في ردّة فعلها على التطبيع التركي مع نظام الأسد.
- عملت "هتس" على تلميع صورتها داخلياً عقب هجومها الأخير على عفرين، وارتباطها بشكلٍ أو بآخر بالدفاع عن قتلّة الناشط الإعلامي "أبو غنوم"، والذي أعاد إلى الذاكرة الهجمات والاعتداءات الكثيرة التي قامت بها سابقاً ضدّ الفصائل.
- تسعى "هتس" إلى توصيل رسالة بأنها قادرة على التشويش على مسار التوافقات التركية الروسية فيما يخصّ إدلب، وعلى المسار الجديد لأنقرة الساعي لتطبيع مع نظام الأسد.

مقدمة:

شنت "هيئة تحرير الشام-هتس" مؤخراً عدة عمليات عسكرية تُوصف بالخاطفة والانغماسية خلف الخطوط ضدّ مواقع لقوات نظام الأسد في شمال غربي سوريا، ضمن فارق زمني متقارب، تزامناً مع مساعي تركيةٍ للتطبيع مع نظام الأسد، رافقتها تصريحات إعلامية من الأجهزة التابعة لـ"هتس"، وهو ما يمكن أن يعطي دلائل بأن "هتس" تسعى لتوصيل رسائل من تلك الهجمات.

يسلّط هذا التقرير الضوء على رسائل "هتس" من تلك العمليات؛ سواءً على المستوى المحلي أو المستوى الخارجي، ويستعرض سياق الهجمات الأخيرة، ومحاولة الجولاني استثمار ظروف الانعطاف التركية نحو نظام الأسد؛ في محاولةٍ لرفع رصيده على المستوى الشعبي والفصائلي.

هجمات "هتس" الأخيرة وسياقها:

تُعدّ "هتس" صاحبة النفوذ العسكري الأكبر في مناطق شمال غربي سوريا؛ ولذا فإنّ عملياتها العسكرية الأخيرة شملت معظم مناطق خطوط التماس مع قوات نظام الأسد في أرياف إدلب وحلب واللاذقية وحماة¹، في حين سعت الأذرع الإعلامية التابعة لها إلى الدعاية والترويج لتلك الهجمات وذكر الألوية التي شاركت بالهجمات وما أسفرت عنه من خسائر بشرية ومادية في صفوف قوات نظام الأسد والأسلحة التي تم اغتنامها². علماً أنّ العمليات والهجمات خلف الخطوط من قبل "هتس" لم تتوقف منذ اتفاق وقف إطلاق النار في عام 2020؛ لكنّ الذي تغيّر اليوم أنّ هذه الهجمات ارتفعت وتيرتها بشكل ملحوظ بفارق زمني أقل على وقع تصعيد الخطاب الإعلامي من قبل قيادة "هتس" رفضاً للتطبيع التركي³.

يبدو أنّ "هتس" تسعى إلى إظهار أنّ عملياتها في الفترة الحالية تختلف عن السنوات الماضية، وأنها مستعدة للتصعيد بشكل أكبر والمواجهة المفتوحة؛ لذا فإنه لم تكن تمضي أيام على عملية حتى تأتي عملية أخرى، وهو نهج لم تقم به "هتس" منذ موافقتها غير المعلنة على اتفاق وقف إطلاق النار الموقع بين تركيا وروسيا في آذار عام 2020، والذي يقترب من دخول عامه الرابع⁴، في وقت كانت فيه "هتس" إحدى الأطراف الأساسية المعنيّة بذلك الاتفاق لأنها المسيطرة على معظم إدلب وأجزاء من ريف حلب الغربي⁵، أي أنّ "هتس" مسؤولة بالدرجة الأولى عن تطبيق الاتفاق؛ فإظهاراً لالتزامها بمخرجاته عمدت في بدايات اتفاق وقف إطلاق النار إلى تفريق المتظاهرين الرافضين لدخول الدوريات الروسية لإجراء دوريات مشتركة مع القوات التركية، الأمر الذي شكّل منعطفاً في سياسة الجولاني الذي كان من الرافضين لدخول الروس إلى مناطق الشمال السوري⁶، وهو ما أدخله في صراعات مع فصائل أخرى

¹ أربع عمليات "انغماسية" لهيئة تحرير الشام خلال أسبوع | فيديو، تلفزيون سوريا، 2022/12/18.

² رسائل العمليات "الانغماسية" لـ"تحرير الشام" شمالي سوريا، عنب بلدي، 2022/12/25.

³ تحرير الشام ترفض التقارب التركي مع النظام السوري وتتوعد الأسد، عربي 21، 2023/1/21.

⁴ أصدر مركز الحوار السوري في وقت سابق تقريراً حول اتفاق وقف إطلاق النار في إدلب والعوامل المؤثرة في صموده واستمراره، وصولاً إلى استشراف مآل هذا الاتفاق ومصير المناطق الواقعة تحت سيطرة قوى الثورة والمعارضة؛ يُنظر التقرير بعنوان: [عام من الصمود... كيف أتمّ اتفاق موسكو عامه الأول دون أن يهار؟](#) 2021/3/12.

⁵ جدير بالذكر أنّ المقصود باستمرار اتفاق وقف إطلاق النار هو تجميد المعارك المفتوحة والقصف الجوي اليومي على المناطق السكنية، أما ما عدا ذلك من القصف المتقطع والاشتباكات على خطوط التماس فهي متكررة بشكل شبه يومي، وعادة ما تسفر عن وقوع ضحايا مدنيين بسبب قصف النظام والروس مناطق سكنية، ولكن بدرجة أقل عن مرحلة ما قبل اتفاق موسكو الذي جندّ المعارك المفتوحة.

⁶ [الاعتصامات على "M4" بين مؤيد ورافض لها.. من وراءها؟](#) عنب بلدي، 2020/3/15.

عمل على إخضاعها وتفكيكها بالقوة، خاصة غرفة عمليات "فائتوا"⁷ التي خاض معها نزاعاً دراماتيكياً في سبيل إثبات التزامه بتفكيك أي فصيل يرفض مرور الدوريات التركية الروسية⁸.

مضيُّ نحو 3 سنوات على اتفاق وقف إطلاق النار دون أن ينهار يعود لأسباب عديدة؛ منها التزام "هتش" بتطبيقه لجملةٍ من العوامل الموضوعية¹⁰، على رأسها عدم رغبتها باستعداد الطرف التركي الذي سعى إلى تثبيت وقف إطلاق النار، وكذلك عدم إغضاب روسيا ودفعها إلى تكثيف الضربات أو دعم قوات نظام الأسد بعمليةٍ بريةٍ يُعدّ الدعم الجوي للنظام أحد الفوارق الأساسية فيها.

وبالنتيجة فإن مضيِّ نحو 3 سنوات على اتفاق وقف إطلاق النار دون أن ينهار يعود لأسباب عديدة⁹؛ منها التزام "هتش" بتطبيقه لجملةٍ من العوامل الموضوعية¹⁰، على رأسها عدم رغبتها باستعداد الطرف التركي الذي سعى إلى تثبيت وقف إطلاق النار، وكذلك عدم إغضاب روسيا ودفعها إلى تكثيف الضربات أو دعم قوات نظام الأسد بعمليةٍ بريةٍ يُعدّ الدعم الجوي للنظام أحد الفوارق الأساسية فيها.

لكن تلك العوامل تبدو اليوم مهدّدة بالتغيير والتلاشي وسط الحديث التركي المتكرر عن رغبة أنقرة بالتطبيع مع نظام الأسد، وخروج تصريحاتٍ من الرئيس التركي نفسه "أن لا خصومة دائمة في السياسة"¹¹، وأنه من الممكن أن يلتقي رأس النظام بشار الأسد، إضافةً إلى تصريحات مسؤولين أتراك بأن أنقرة ستسحب من الأراضي السورية حينما يحين الوقت المناسب¹²، الأمر الذي شكّل فيما يبدو رغبة لدى "هتش" في توصيل جملة من الرسائل لمختلف الأطراف الفاعلة، إضافة إلى الحاضنة المحلية.

ما هي رسائل "هتش" من الهجمات الأخيرة؟

يمكن إدراج هجمات "هتش" الأخيرة في إطار سياقين، لكلٍ منهما أهدافه الخاصة والمتعددة التي تسعى لتوصيلها إلى الأطراف المحلية والفاعلة في ظل الانعطافة التركية نحو نظام الأسد.

⁷ سورية: "تحرير الشام" تنهي غرفة عمليات "فائتوا"، العربي الجديد، 2020/6/27.

⁸ مَرّ الجولاني بتحويلات كبرى؛ سواءً على المستوى الشخصي أو الجماعات والمواقف، وفي هذا الإطار نشر مركز الحوار السوري في وقت سابق مقالاً حلّل فيه المحركات خلف تحولات الجولاني، بهدف تكوين سياق عام يمكن من خلاله التنبؤ بما يمكن أن يتجه إليه في المراحل القادمة والسبيل الأمثل للتعاطي معه؛ يُنظر: المقال التحليلي "الجولاني، من رحم "داعش" إلى "قائد ثوري شعبي"؟"، 2020/8/12.

⁹ ملف إدلب محكوم بجملة من العوامل المعقّدة بين تركيا وروسيا، وليس بملف "هتش" بالدرجة الأولى؛ ولذا فإن إدلب ومنطقة شمال غربي سوريا عموماً تكون عادة ساحة لتبادل الرسائل بين تركيا وروسيا، ولم يبدِ الطرفان رغبة في انهيار وقف إطلاق النار، خاصة مع اندلاع الحرب الأوكرانية وامتلاك الطرفين رسائل ضغط على الآخر. لاسيما وأنهما متداخلان بملفات أخرى مثل ليبيا وكارباخ في كازخستان وغيرها من الملفات، لذلك فإن ملف إدلب محكوم بعوامل عديدة بين الطرفين التركي والروسي.

¹⁰ "تحرير الشام ترفض التقارب التركي مع النظام السوري وتتوعد الأسد"، مرجع سابق.

¹¹ أردوغان: لا خصومة دائمة في السياسة، الأناضول، 2022/11/23.

¹² تركيا تتحدث عن «خطوة أخيرة» قبل لقاء مفترض بين إردوغان والأسد، الشرق الأوسط، 2023/1/2.

الأول: اللعب على وتر العامل الشعبي

حاولت "هتس" استثمار غضب الحاضنة الشعبية من الموقف المتأخّر لبعض قوى المعارضة السياسية والعسكرية في ردّة فعلها على التطبيع التركي مع نظام الأسد؛ ولذا فإن عملياتها العسكرية تزامنت مع بيانات لـ "حكومة الإنقاذ" الذراع السياسي لـ "هتس" تعلن فيها رفضها التطبيع¹³، كما خرج الجولاني بتسجيلات مصوّرة للحديث عن رفضه للتطبيع التركي وعن استعداده لمواجهة نظام الأسد¹⁴.

عملت "هتس" على تلميع صورتها داخلياً بعدما ازدادت سوداوية عقب هجومها الأخير على عفرين وارتباطها بشكلٍ أو بآخر بالدفاع عن قتلة الناشط الإعلامي أبو غنوم

يبدو أنه كان لـ "هتس" مصلحة في تلك الهجمات الخاطفة، إضافة إلى البيانات الراضية للتطبيع بعد أن تعرّضت لكثير من الانتقادات المحلية إثر هجومها على عفرين وارتباطها بشكلٍ أو بآخر بالدفاع عن قتلة الناشط الإعلامي "أبو غنوم"¹⁵، الأمر الذي جعل صورتها تزداد سوداوية وذكر بانتهاكاتها القديمة ضد فصائل المعارضة وتفكيكها الكثير من فصائل الجيش الحرّ ونزع سلاحهم وتهجيرهم، مما أدى إلى إضعاف الجبهات

في وقتٍ انسحبت فيه "هتس" من مناطق كثيرة من شمال غربي سوريا¹⁶؛ فهجوم عفرين أعاد إلى الأذهان الكثير من الانتهاكات التي ارتكبتها "هتس"، وبدد محاولات الجولاني إظهار الاعتدال في السنوات الماضية¹⁷.

وهذا ما يُفسّر إقدام "هتس" على محاولة ترميم صورتها أمام الحاضنة في مسألة حسّاسة تهمّها، وهي رفض التطبيع أو المصالحة مع نظام الأسد، الأمر الذي دفع الجولاني -فيما يبدو- إلى محاولة استقطاب الحاضنة والفصائل التي ترفض التوجه التركي في خطابه الذي دعا فيه "كل مخلص أن يبذل الجهد، ويسعى بصدق، ويضع يده بأيدينا، ويصطف إلى جانبنا في مواجهة هذه التحديات ومواصلة العهد حتى إسقاط النظام المجرم"¹⁸.

وبحسب مصادر محلية¹⁹ فإن "هتس" صعّدت أكثر لإظهار موقفها المتصلّب من التطبيع، وعمدت إلى دفع الجناح الموالي لها فيما يُعرف بحركة "أحرار الشام-القطاع الشرقي" إلى رفض تسليم معبر الحمران التجاري بين مناطق سيطرة مليشيا "قوات سوريا الديمقراطية-قسد" والجيش الوطني السوري في ريف حلب إلى وزارة الدفاع التابعة

¹³ "حكومة الإنقاذ": لقاء تركيا مع النظام السوري يهدد حياة ملايين السوريين، تلفزيون سوريا، 2022/12/30.

¹⁴ الجولاني يوجّه رسالة لقادة الفصائل بشأن تركيا والمصالحة مع الأسد، 2023/1/12.

¹⁵ تركيا «تفرض» وقف الاقتتال بين «الفيلق الثالث» و«تحرير الشام»، الشرق الأوسط، 2022/10/19.

¹⁶ تسلسل زمني: "جبهة النصرة" في مهمة لوأد الثورة السورية وتفكيك فصائلها، نون بوست، 2019/11/8.

¹⁷ "الجولاني" .. من رحم "القاعدة" إلى رجل الاقتصاد حامي الأقليات، عنب بلدي، 2022/9/14.

¹⁸ "هيئة تحرير الشام" ترفض المباحثات بين النظام السوري وتركيا: لن نصالح، العربي الجديد، 2023/1/2.

¹⁹ التنافس على معبر "الحمران" يجدد التوتر في الشمال السوري، العربي الجديد، 2023/1/12.

للحكومة السورية المؤقتة نتيجة طلب تركي بغية تسليم كل المعابر لإدارة مدنية؛ حيث يُعد معبر الحمران شرياناً اقتصادياً مهماً لمناطق الشمال السوري، وعبره يتم التبادل التجاري بين مناطق "قسد" ومناطق الجيش الوطني²⁰، ويأتي ذلك وسط حديثٍ عن تزويد "هتس" للفصيل نفسه بأسلحةٍ ثقيلةٍ مكونة من دباباتٍ ومدافع وذخائر، إضافة إلى فصيل "السلطان سليمان شاه" الذي كان ضمن خريطة تحالفاتها في هجوم عفرين الأخير²¹.

الثاني: رسائل خارجية إلى الأطراف الفاعلة والمؤثرة

لا تقتصر عمليات "هتس" الأخيرة على توصيل رسائل للحاضنة والداخل المحلي، وإنما تتعدى ذلك إلى الأطراف الإقليمية الفاعلة، خاصة تركيا التي كانت "هتس" بشكلٍ أو بآخرَ تتماهى مع اتفاتها مع الروس وتؤمن الحماية للأرتال التركية الداخلة إلى منطقة شمال غربي سوريا، كما صدرت "هتس" نفسها أكثر من مرة بوصفها شرطياً يضبط الأمن في المنطقة، عبر ملاحقة الخلايا التي تستهدف الأرتال التركية في إدلب، خاصة ما تُعرف بخلايا "أبو بكر الصديق"²²؛ ولذا فإن "هتس" تسعى فيما يبدو لتوصيل رسالة بأنها قادرة على العبث بمسار الاتفاقات التركية الروسية فيما يخص إدلب، عبر التلويح بإطلاق عمليات ومناوشات بمحاور مختلفة ضد قوات الأسد تشوُّش على الفاعلين، وبالتالي تهديد تركيا بموجة جديدةٍ من اللاجئين على حدودها بسبب التصعيد العنيف والمتوقع من قبل قوات نظام الأسد وحلفائه ضد المناطق ذات الكثافة السكانية العالية، ما لم تأخذ "هتس" طمأننة بشأن بقائها وشرعيتها لتكون جزءاً فاعلاً في أي نتائج للمسار الجديد الذي بدأتها أنقرة.

ويبدو أن "هتس" تخشى من تقديم تركيا تنازلاتٍ كبيرةً لصالح روسيا في إدلب، لاسيما وأن الروس تحدّثوا مراراً عن أن تركيا لم تلتزم ببنود وقف إطلاق النار وتسليم جنوب الطريق الدولي إم4 ومحاربة "هتس"، ولذا فإن مثل تلك المطالب لا يُستبعد أن تكون على طاولة الروس وحتى نظام الأسد الذي يضع شروطاً عديدة للاستمرار بمسار التطبيع مع أنقرة، وعلى رأسها انسحاب الجيش التركي من إدلب، في وقتٍ تُصنّف فيه تركيا "هتس" ضمن قائمة المنظمات الإرهابية²³، بينما اتهمها المبعوث الخاص للرئيس الروسي إلى سوريا "ألكسندر لافرنتييف" بأنها "تسعى لتحويل هيئة تحرير الشام في إدلب إلى معارضة معتدلة"²⁴، أي أنّ هناك ضغوطاً روسية تُمارس على تركيا في هذا الملف على وجه الخصوص، مما يجعله ضمن قائمة أولويات الروس في أي مباحثات مع الأتراك.

ومع الغموض الذي يسود شكل اتفاق التطبيع المرتقب بين تركيا ونظام الأسد تبقى جميع الاحتمالات قائمة فيما يخص منطقة شمال غربي سوريا، الأمر الذي يجعل "هتس" في وضعية الاستعداد وتوصيل رسائل بأنها قادرة على

²⁰ غارة لـ"أحرار الشام" على قوات النظام شرقي حلب.. ما علاقة معبر الحمران؟ تلفزيون سوريا، 2023/1/8.

²¹ عفرين.. هيئة تحرير الشام تزود "فرقة العمشات" بدبابات ومدافع | صور، تلفزيون سوريا، 2023/1/6.

²² "تحرير الشام" تنشر صور أفراد "سرية أنصار أبي بكر" ومعداتهم، تلفزيون سوريا، 2022/7/6.

²³ تركيا تصنف هيئة تحرير الشام في سوريا منظمة إرهابية، رويترز، 2018/8/31.

²⁴ روسيا: تركيا تسعى لتحويل "تحرير الشام" إلى "معارضة معتدلة"، عنب بلدي، 2022/10/20.

خلط الأوراق في شمال غربي سوريا إن تم عقد أي صفقة تؤدي بالنتيجة إلى تصفيتها من إدلب، أو التوصل إلى حل يكون على حساب وجودها، إلا أن مثل هذا السيناريو يبدو مستبعداً، على الأقل في المدى المنظور²⁵، لاسيما وأن تركيا تسعى إلى حلول لا عسكرية، خاصة فيما يخص مناطق نفوذها شمال سوريا، بعكس رغبتها فيما يخص مناطق نفوذ "قسد" شمال شرقي سوريا التي هدّدت أكثر من مرة

هتس "تسعى لتوصيل رسائل بأنها قادرة على خلط الأوراق إن تمّ عقد أي صفقة تؤدي لتصفيتها أو التوصل لحلّ على حساب وجودها.

بشّن عملية عسكرية فيها لكنّ الظروف الدولية والإقليمية لم تكن مواتمة لها²⁶، وهذا ما يجعل "هتس" تلعب على حبال التوازنات الروسية التركية ولا تتعجل بتخريب علاقتها مع الأتراك؛ ولذا فإن الجولاني لم يكن حادّ اللهجة في خطاباته الأخيرة الراضية للتطبيع، بل أكّد أن لدى الأتراك أسبابهم في هذا التطبيع وأن "هتس" لن تعادي تركيا رغم رفضه مسار التطبيع عموماً واعتباره خاطئاً²⁷.

الخاتمة:

مع كلّ ما حاولت "هتس" أن تُظهره خلال السنوات الماضية من تلؤن ومرونة براغماتية في التعامل مع الأطراف الفاعلة، ومن التزام بشكلٍ أو بآخر بسياسات الفاعلين فيما يخصّ منطقة شمال غربي سوريا؛ إلا أنّ هذا يبقى ضمن محاولاتها للتأقلم للحفاظ على نفوذها ووجودها، وهي تقوم ببعض المشاغبة أو التشويش لتؤكد أنها موجودة وأنه لا بد من اعتبار وجودها ومصالحها ونفوذها في أي تحول باتجاه مرحلة قادمة.

²⁵ يرى بعض المراقبين أن من عوائق اتفاق التطبيع بين تركيا ونظام الأسد شروط الأخير حول ضرورة الانسحاب التركي من شمال غربي سوريا؛ إذ يعدّه بمثابة "احتلال" وأعلن أكثر من مرة عن ضرورة الانسحاب، الأمر الذي قد يعرقل مسار التطبيع، لاسيما وأن أنقرة لا تبدو بوارد التخلي عن تلك المناطق بتلك السهولة بعدما أسست لوجود عسكري يؤمن حماية أمنها القومي، في ظل استمرار التهديدات على الحدود ورغبتها بإعادة اللاجئين السوريين إلى منطقة نفوذها شمال سوريا، وقد أصدر مركز الحوار السوري ورقة في هذا الصدد بعنوان: [تقارب أنقرة ونظام الأسد؛ عواملُ فشلٍ لا تُلغى فُرصُ التقدّم](#)، 9/11/2022.

²⁶ أصدر مركز الحوار السوري تقريراً حول الرغبة التركية بشنّ عملية برية في شمال شرق سوريا تطرق إلى الظروف الإقليمية والدولية التي تعرقل تنفيذ العملية، ما يجعل التهديد بها ورقة ترفعها تركيا بين الفينة والأخرى دون القدرة الحقيقية على تنفيذها في ظلّ الرفض الروسي الأمريكي لها، وتقديم بدائل عن العملية كتوسيع نطاق القصف الجوي ضدّ مليشيات "قسد". ينظر التقرير بعنوان: [العملية العسكرية التركية في سوريا: توسيع تدريجي للهوامش التركية وسط تعقيدات الفاعلين](#)، مركز الحوار السوري، 7/12/2022.

²⁷ [الجولاني: تركيا دخلت مساراً خاطئاً ولكن لن نعادها](#)، تلفزيون سوريا، 21/1/2023.